

# الإرشاد والابوة الروحية

عند القديس سمعان اللاهوتي

الحديث 949-1022

دائماً في كتاباته ، إذ عرف هو نفسه مثل هذا الأب في شخص القديس سمعان التقي وهو لا ينفك يشكر الله عليه :

« أشكرك لأنك أمام رغبتني المتأججة لرؤية أحد قديسيك وقناعتي بأن أجد عن طريقه غفراناً لديك لم تكف بفعل ذلك (من أجلي) فأرشدتني إلى خادمك الحقيقي أقصد المغبوط والقديس سمعان التقي وجعلتني محبوباً ومقرباً منه بل إضافة لذلك أعذقت علي آلاف النعم غير المنتظرة » .

إذاً قناعة سمعان بضرورة اتخاذ أب روحي مبنية على خبرة روحية شخصية ، هكذا يتكلم عن خاطئ يبحث « عن وسيط ، عن منقذ ، لأنه عاجز عن التقدم وحيداً دون خزي بسبب كثرة الخطايا التي تشينه وتكبله » .

طبعاً المسيح وحده يخلص ولكن المسيح هو أيضاً يرشدنا إلى الأب الروحي قائلاً : « تمسك جيداً بهذا الإنسان اتبعه لأنه هو يقودك وينقيك » يدعو سمعان أباه الروحي « رسولاً وتلميذاً » للمسيح ويقول في صلاة يرفعها إلى المسيح حيث يشبهه بابه الروحي : « إلى عاضدي ومنقذي أعني تلميذك القديس ورسولك إليك يا جابلي ترخر نفسي

غالباً ما نعرف سمعان اللاهوتي الحديث بروحاني يتحدث فقط عن حالات روحية سامية مثل اللاهوى ، المحبة ، معاينة النور ، التأله ، دون الإهتمام بالطرق والوسائل المؤدية إليها مثل الزهد بالعالم ، التوبة ، محاربة الأهواء ، الحياة النسكية بشكل عام . هذا ما كان يتكلم عنه على الأخص الأباء القدماء .

هذه الفكرة خاطئة بالكلية لأنه بالنسبة لسمعان كما لإسلافه الخبرة الروحية ليست سوى تنويع للحياة النسكية في الله . طبعاً التشديد الخاص على الخبرة الروحانية الواعية هو طابع مميز لسمعان . لكن الجهاد النسكي يحتل . في كتاباته مركزاً مرموقاً وحتى أساسياً بالرغم من أن هذا القسم من إنتاجه الأدبي يمكن أن يظهر أقل إبداعاً إذا اتبع ببساطة الخط المرسوم من الأباء .

ما يميز سمعان هو همته بعدم فصل الجهاد النسكي عن خبرة الحياة الروحانية Mystique وانتقاله دوماً من الواحد إلى الآخر يُعطي اهتماماً بالغاً للإرشاد أو بالأحرى للأبوة الروحية .

ضرورة اتخاذ أب روحي للذي يريد أن يسلك حياة مسيحية أمر يؤكد عليه سمعان

يبدو سمعان موافقاً على اعتراف مباشر للمسيح للذين يرونه أعني بهم الذين وصلوا إلى درجة عالية من الكمال إلا أنه يشجب أية خيانة للأب الروحي . فطاعته هي الطريق إلى الكمال لأنها طريق إنكار النفس :

« أولئك الذين وطدوا حقاً بخوف ورعدة قواعد الإيمان والرجاء على صخرة الطاعة لأبيهم الروحي والذين يتبعون بموجب الطاعة كل ما يطلبه منهم وكأنه صادر من فم الله ، هؤلاء نجحوا في إنكار ذاتهم لأنّ فعل تميم مشيئة الأب الروحي بدلاً من المشيئة الشخصية في سبيل تحقيق وصية الله والتدرّب على الفضيلة، يُنتج فضلاً عن نكران الذات، موتاً عن العالم بأسره .

الأب الروحي طبيب بطول أناته وقبل كل شيء بمحبته يستعمل، على غرار طبيب الجسد، كل الأدوية والوسائل العلاجية من أجل إراحة وشفاء أمراض النفس وجراحها وهي الأهواء والخطايا . من جهة أخرى على الابن الروحي أن يكشف كل شيء لأبيه . ويقول سمعان معلماً أحد الرهبان الشباب :

« إستمع فقط إلى تنبيهات أبيك ، أجه بتواضع كما لله ، أنقل له كل أفكارك حتى أصغر تجاربك دون أن تخفي عنه شيئاً دون أن تفعل أي شيء بدون مشورته لا النوم ولا الأكل ولا الشراب .

الحبّة الأبوية تربط الأب الروحي بابنائه : « أنتم في الحقيقة أبناء الله . لقد أعطاني الله أياكم بمثابة أبناء أنتم أحشائي ، أنتم

بالإكرام والوقار والمحبة ، جاثياً عند قدميه متوسلاً ليل نهار : ان كانت لك أية قدرة فبادر إلى معونتي ؛ بهذا اليقين كل ما يبتغيه يناله أمامك . »

ولكن كي يرسل لنا المسيح هكذا مثل هذا الأب ، علينا أن نسعى إليه بصلاة حارة وذهن ثابت .

« أصغ جيداً ولا تحاول أن تبرر نفسك » هكذا يتوجه سمعان إلى أحد المسيحيين : « بل انسحق وقل : إلهي أنت الذي لا تبغي موت الخاطيء بل تريد ان يعود ويحيا ، أنت الذي نزل إلى الأرض تحديداً لإقامة أموات الخطيئة ، لتجعلهم مستحقين معاينتك ، أنت النور الحقيقي بقدر ما يستطيع الإنسان ، أرسل لي إنساناً يعرفك حتى باتباعي وخضوعي له بكل قواي كما لك ، وبتتيم مشيئتك في مشيئته أنال رضاك أنت الإله الوحيد ، واستحق ملكوتك أنا أيضاً الخاطيء . »

يوجد بعض الشبه بين المسيح والأب الروحي ، ولكن دائماً المسيح هو « الإله الوحيد الحقيقي » ويبقى الأب الحقيقي . له وحده ينبغي أن يعترف التائب إذا كان لم يجد بعد أباً روحياً ، وعلى كل حال عليه أن لا يبحث عن آخرين إذا كان قد وجده . هكذا ينصح سمعان : « لا تذهب هنا وهناك بحثاً عن رهبان ذاتعي الصيت ولا تتقصّ عن حياتهم إذا كنت قد قابلت بمعونة الله أباً روحياً ، قل له حاجاتك ، له وحده . وإلا طالما ترى المسيح اتجه إلى المسيح باستمرار واجعله المراقب الوحيد لتعبك وحزنك .

الكمال بمحبة الله وكذلك بمحبة القريب» .

في تعليم آخر كتبه سمعان كما يبدو في شيخوخته يرى نفسه أباً يغذي أبناءه روحياً :

« ها قد كشفت لكم يا صحتي وإخوتي عن أسرار نفسي الخفية إذ بدأت أشعر بدنوّ أجلي ... كي تجتهدوا وتمثلوا، عوضاً عن أي إنسان آخر بذاك الذي ولدكم وأحبكم من كل نفسه، وغذاكم بحليب كلمة الله وأشبعكم من الخبز المحيي، ذاك الذي ارشدكم أن تسلكوا طرق وصايا الله الخلاصيّة » .

يصلي سمعان من أجل أن يُقبل مع تلاميذه في ملكوت الله كي يعاينوا المسيح :  
« أحصني يا رب وتلاميذي بين أجواق المختارين بحسب أحكامك الخفية حتى تتأمل معاً مجدك الإلهي وتتمتع بخيراتك التي لا توصف أيها المسيح » .

عينيّ، أنتم كما يقول الرسول فخري وختم رسالتي» .

رابط المحبة هذا متين للغاية لدرجة أن أباً روحياً حقيقياً يرفض الخلاص دون أبنائه .

« وقد رأيت أباً آخر يقول سمعان (متحدثاً عن نفسه) كان يرغب خلاص إخوته بحماس شديد ويطلب من الله المحب البشر من كل قلبه وبدموع حارة أن يخلّصهم وإياه أو أن يهلكه معهم، رافضاً رفضاً قاطعاً بموقف يتشبه بالله وكذلك بموسى أن يخلص بمفرده . لأنّه مرتبط بهم روحياً برابط المحبة المقدّسة في الروح القدس . حتى إنّه لم يشأ دخول ملكوت السماوات إذا اضطر للإنفصال عنهم » .

ويعجب بقوّة هذه المحبة :

« ايها الرباط المقدّس (بالحقيقة) ، أيتها القوّة الخفية ، ايتها النفس صاحبة المشاعر السماوية المفعمة بالله والتي توصلت إلى

